لعلي محمود طه

رجوع الهارب

اذا تمرّد المجنون على حكم الهوى، وضاق كبريد بصراخهم وبكائهم فتح لهم باب ديره فخلصوا منه ناجين بأنفسهم، وانطلقوا هاربين من أسره، ينشدون النسيان والسلو في حياة اصبحت تكرهم وكأن لم يتصلوا بها من قبل. وهاموا في عالم يجهلهم ويجهلونه، تحوطهم الوحشة وتظلهم الكآبة. هنالك يرجع الهارب نادماً مأخوذاً بسحر تلك الايام التي كانت تشرق عليه من خلال ذلك الدير القديم

تَرَبَّتُ النورِ المشعَّ عيوني ورفعتُ للهبِ الأحمِّ جبيني
ومشيتُ في الوادي يمزّقُ صخرهُ قدمي وتدمي الشائكات يميني
وعدوتُ نحو الماءِ وهو مقاربي فأى وردٌ الى السَّرابِ ظنوني
وبَدَت لعيني في السماء غمامةٌ فوقفتُ فارتدَّتْ هنالك دوني
وأصختُ للنسماتِ وهي هوازجٌ فسمعت قصفَ العاصفِ المجنون
يا صبح: ما للشمسِ غير مضيئةٍ؟ يا ليلُ: ما للنجم غيرَ مبين؟
يا نارُ: ما للنَّارِ بين جوانحي؟ يا نور: أين النورُ ملءَ جفوني؟
ذهبَ النهارُ بحيرتي وكآبتي وأتى المساءُ بأدمعي وشجوني
حتى الطبيعةُ أعرضتْ وتصامتْ وتنكرتْ للهارب المسكين!!

***

إنْ لم يكنْ لي من حنانكَ موئلٌ فلمنْ أبثُّ ضراعتي وحنيني؟

آثرتَ لي عيش الأسير فلم أُطِقْ صبرًا ، وحُنَّ من الأسار جنوني

فأعدتني طَلْقَ الجناح وخلتَ لي لنور جنَّةَ عاشقٍ مفتونِ

وأشرتَ لي نحو السماء فلم أُطِرْ ورددتُ عينَ الطائر المسجونِ

نسيَ السماءَ وبات يجهلُ مالها ألِفَ الحجابَ عليه أمرُ سنين

ولقد مضى عهدُ التنقل وانتهى زمني اليكَ بصوتي ونتوني

لم ألقَ بعدك ما يشوقُ نواظري عند الرياض وليس ما يُعجبني

فهتفتُ أستوحي قديمَ ملاحني فنهدَّجتْ وتعثرتْ بأنيني

ونزلتُ استذري الظلال لعفْسني حتى الغصونَ غدونَ غيرَ غصونِ

فرجعتُ للوكرِ القديم وبي أسىً يطغى عليَّ وذِلَّةٌ تعروني

لما رأتْهُ أغرورقتْ عيناي من ألمٍ وضجَّ القلبُ بعدَ سكونِ

ومضتْ بي الذكرى فرحتُ مُكذِّباً عيني ، ومتهماً لديه يقيني

وصحوتُ من خَبَلٍ وفي مما أرى أطراقُ مكتئبٍ وصمتُ حزينِ

فافتحْ ليَ البابَ الذي أغلقتَهُ دوني ، وهاتِ القيدَ غيرَ ضنينِ

وامددْ ذراعيكَ الغداةَ وضُمَّني وأحلَّني الصدرَ الذي يأويني

دعني أروِّ القلبَ من خمرِ الرضى وأنِمْ على فخرِ الحنانِ عيوني

وأعدْ إلى أسرِ الصبابة هاربًا قد آبَ من سَفَرِ الليالي الجونِ

عافَ الحياةَ على نواكَ طليقةً وأتاكَ ينشدها بعينِ سجينِ !!